ومصر وشعرت بأن اي قتال يحدث في فلسطين ، بالرغم من اهميته ، ليس اكثر من مقدمة لتجربة اعظم ، وهي قتال الاستعمار في كل مكان . ان القتال الجاري في فلسطين هو الجهاد الاصغر ، ولعل الامة العربية تعود من الميدان اقوى واقدر على الجهاد الاكبر(٣٦).

اما الصحافة الفلسطينية فقد كانت على ارض المعركة . وكان كتاب (الدفاع) و(فلسطين) يدركون جيدا الاخطار المحدقة بهم في فلسطين . ولهذا فقد حضوا قراءهم على الدفاع عن اجزاء فلسطين التي يحتفظ بها اليهود او التي يدعون انها لهم . « ونحن مقتنعون بالنهاية الحسنة في هذا الكفاح الذي نخوضه لحماية وحدة بلادنا ولنيلنا حقوقنا وحرياتنا . ونحن مقتنعون ان خصومنا يخوضون معركة خاسرة ، وان طبيعة الموقف والظرف في غير جانبهم . ونحن مقتنعون ان الحل سيكون في بلادنا ، لا في نيويورك كما تحاول القوى المعادية ، ولا في لندن . وفي نفس الوقت ، نحن مقتنعون باننا سنواجه ظروفا قاسية، وسنتكبد تضحيات وخسائر ، وان الحالة ستتراوح معنا بين المد والجزر ، الى وقت ما . غير ان العبرة دائما بالنهاية »(٣٧).

لقد قيل مرارا ان سبب نزوح العرب عن فلسطين في اواخر سنتي ١٩٤٧ و١٩٤٨ يعود الى دعوة الصحافة العربية للسكان لكي يتركوا فلسطين . وكما اشارت الفقرات السابقة ، فان الصحافة العربية كانت تحض الفلسطينيين والشعوب العربية على المشاركة في القتال من اجل فلسطين ، ولم تحض الفلسطينيين على الهروب من فلسطين ابدا. ان هذه الخرافة الصهيونية لا تلبث ان تتبدد اذا درسناها على ضوء الحقائق كما تنعكس في الافتتاحيات العربية . وفيما يختص بهذا الموضوع ، فان من الاهمية بمكان ان نعرف ردة الفعل في الصحافة الفلسطينية نفسها تجاه الحرب الناشبة في فلسطين . ان هناك ، بدون ريب ، شواهد وبراهين قوية تبين ان (الدفاع) و(فلسطين) لم تحثا القراء على ترك بيوتهم ابدا . بل على العكس فان الافتتاحيات الفلسطينية شعرت ان على الفلسطينيين ان يقدموا اعظم التضحيات ويكونوا مثلا للاخرين وانه لن يضحي احد من اجل فلسطين ما لم يضح الفلسطينيون من اجلها اولا(٣٨). ومع ان كتاب الافتتاحيات العرب حاولوا ، وفي بعض الاحيان بذلوا مجهودا كبيرا لغرس الشعور بالوحدة بين الشعوب العربية لمواجهة الصهيونيين فان هؤلاء الكتاب لم يتعاموا عن الطبيعة السلبية التي لاحظوها في طريقة العمل والسير في الحرب من اجل فلسطين . وقبل دخول الجيوش العربية النظامية الى فلسطين في ايار ١٩٤٨ ، حاول الصحافيون ان يلفتوا انتباه قرائهم الى الاخطاء العديدة التي ارتكبت . وظهر نقد افتتاحي لطريقة تدريب الجيوش العربية واستخدام المتطوعين ، والافتقار الى التنسيق بين الدول العربية ورغبة السياسيين العرب في الكلام اكثر من العمل وغياب الفلسطينيين عن مسرح الدفاع عن بلادهم وجشع العرب في السعي من اجل تحقيق مصالح محلية وشخصية فوق المصلحة العربية او على حسابها .

ومع ان انباء المعارك خلال نيسان وايار من عام ١٩٤٨ تركت انطباعا بأن المتطوعين العرب يحققون نجاحا عظيما في فلسطين الا ان الافتتاحيات لم تكن تعكس ذلك التفاؤل الذي كانت تنقله روايات الاخبار . ان الانطباع النهائي الذي ادى اليه فقدان دعم الافتتاحيات لروايات الاخبار تلك هو ان الاخبار كانت محاولة لنشر الاشاعات ورفع المعنويات . وكانت اكبر مجموعتين من المتطوعين العرب الذين كانوا يقاتلون في فلسطين قبل ١٥ ايار هما المجموعة التي كان يقودها عبد القادر الحسيني والمجموعة التي يقودها فوزي القاوقجي. وكان الحسيني يتلقى الاوامر من الهيئة العربية العليا ، اما القاوقجي فقد عينته الجامعة العربية. وقد تألف من هاتين المجموعتين جيش تحرير عرف بـ « جيش الانقاذ » . وكانت قوات عبد القادر الحسيني اكثرها فاعلية وذلك بفضل مقدرة قائدها(٣٩). ولسوء حظ العرب ، استشهد عبد القادر الحسيني في فلسطين في الاسبوع الاول من نيسان ١٩٤٨ . ويتساءل البعض : هل كان بامكان قوات التحرير الفلسطينية ان تؤثر في مجرى حرب ١٩٤٨ لو لم يقتل عبد القادر الحسيني اثناء تأدية واجبه . لقد شكل جيش الانقاذ بسرعة وتهور ، ولم يكن مدربا بشكل جيد وكان يأمل بانتصار ساحق سريع يظهر فيه امام العرب ، وقد اندفع الكثير من السياسيين الى الالتحاق بقوات المتطوعين(٤٠). « وفي مقابل عدو تسلح وتنظم لمدة طويلة فان المجموعة العربية الاولى قد ضمت عناصر غير متكافئة أدخلت المعركة بسرعة ، وبدون التدريب الكافي كما كان ينقصها السلاح